

«وماذا بقي ايها العزيزة . اليس عندكم بالآت ومنتزهات لتظهري فيها جمالك الساحر وقوامك الفتان ونقتلي السائمة والفجر . اف من القعود في البيت ويا ما احلى الخروج منه لتزينين الشوارع والاسواق مع باقي السيدات . فلعلك يا حبيبتى تزينين في كل صباح ومساء ربى لبنان اذ تنتزهين بين اشجاره وازهاره لطرده الانقباض من صدرك فارى من ههنا تغامز الطيور عليك وهي واقفة على اشجار الارز حين مرورك من تحتها . واسمع الازهار تنكس رؤوسها خجلاً منك حين مرورك بينها

«فهل يا عزيزتي يجوز لفتاة سعيدة مثلك محبوبة الى الناس والى الطبيعة مثل هذا الحب ان تترك الحزن والقلق يدخلان الى نفسها . ام هنالك سبب آخر تكتمينه عن صديقتك ومحبتك . افتحى لي خبايا قلبك يا عزيزتي واعلمي انك تخاطبين من هي اصدق لك من شقيقتك

« سليمة »

## باب التربية والتعليم

ليست وظيفة المدرسة منصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والافتداف من اخص وظائف المدرسة

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردن ان يكونوا عظاماً وفضلاء فعدوا النساء ما هي العظة والفضيلة

### اللغة العربية الجديدة

#### \* واللغة القديمة \*

( ما في اقتراح المستر ويلور من الصواب )

اتينا في الجزء السابق على تفصيل المناظرة التي جرت في القطر بشأن ما اقترحه المستر ويلور من وضع اللغة العامية في مصر موضع اللغة الفصحى في تعليم الشعب المصري والكتابة له . وذكرنا ردود مناظريه عليه ونقضهم اقواله . ثم قلنا في ختام ذلك الفصل ان في اقتراح المستر ويلور عبرة وفائدة ووعدنا بذكر هذه العبرة والفائدة وانجازاً للوعد نقول

يزعم بعض فلاسفة العمران ان في كل قول حتى ما كان منه خطأ شيئاً من الصواب . واقتراح المستر ويلور هو من هذا القبيل . فانه خطأ محض اذا نظرت اليه من جهة

لفظه ولكن فيه شيئاً كثيراً من الصواب اذا نظرت اليه من جهة معناه . وغرضنا الآن الاشارة الى هذا الصواب

وبعبارة اخرى نقول ان المستر ويلمور مصيب كل الاصابة اذا كان غرضه في اقتراحه هذا انشاء اسلوب جديد للكتابة يفهمه جميع ابناء اللغة . فان اللغات لا يمكن استبدالها لان ذلك فوق طاقة الانسان وانما يمكن تغيير اسلوبها كأن يهجر القديم البالي الذي كان حسناً في عصره الى الجديد الذي هو حسن ومفيد في هذا العصر . فاذا نظرنا الى اقتراح المستر ويلمور من هذا الوجه تغيرت مسألته وصار المقصود بها « تسهيل اللغة الفصحى على المعلمين والمعلمين » لا استبدال اللغة العامية الساقطة بها . وحينئذ يكون صوته الجهوري الذي دوى في فضاء مصر صوتاً يدعو الى امر في غاية الاهمية ويشير الى احدى مصائب العلم والتعليم في اللغة العربية

نقول ذلك لاننا لا نهمل المصاعب العديدة التي تعترض طلبة العلم وناسريه في اللغة العربية . فاننا نعرف كثيرين من المعلمين يحسبون العلم محصوراً في اللغة ولذلك يصرفون اليها عقول تلامذتهم دون سواها من الفروع التي توسع دائرة العقل وتنبّي الادراك . فيشب الولد بين ايديهم ويخرج من مدرستهم وهو لا يعرف غير « ضرب اضرب ضرب ضارب تضرب » وهذا بلاء شديد على الشرق . وانما كلامنا هنا عن المعلمين في المدارس الابتدائية التي هي بمثابة القوالب الحقيقية الاولى التي تتكون فيها عقول الطلبة ونفوسهم فاذا كان غذاؤها فويكمن لباب العلم وثمار المعارف الحقيقية شبت قوية وكان في امكانها بلوغ حد البلوغ والرجولية . واذا كان غذاؤها ضعيفاً من قشور اللغة وما يتبعها من صرف ونحو وشعر دون سواها من المبادئ التي تقدم ذكرها فانها تبقى طفلة وان بلغت في العمر مبلغ الرجال

وكما ان هذا البلاء شديد على بعض المعلمين والمعلمين في الشرق فهو شديد على بعض الكتاب ايضاً . فان هؤلاء الكتاب يصرفون اعمارهم في تصفح كتب اللغة القديمة وانتقاء مناحي بلغاء المتقدمين فينطبع في نفوسهم ان صناعة الكتابة لا تقوم الا بتتقيق العبارة وذكر المترادفات من الالفاظ وانتقاء الضخم منها حتى انك حين قراءتها لتخالها كالبنديق الذي قال فيه الشاعر « خلي من المعنى ولكن له نقش » . وعلى ذلك تصير الكتابة عندهم عبارة عن الفاظ واسعة الاكام ضخمة الاجسام يضيع فيها المعنى الذي تدل عليه كما تضيع كأس من السكر في بركة من الماء البارد . او تكون اسلوباً جافاً ناشفاً تنتظم فيه

معانٍ قليلة بسلك معوج لا يفهمه القارىء الا اذا راجعه عدة مرات وربما راجعه طول  
النهار اذا كان ضعيف الفهم ولم يفهم منه شيئاً

فالفضل العظيم الذي يرجع الى المستر ويلمور في هذه المسألة هو في رايها حذفه مسألة  
اللغة بكلمة واحدة وذلك بقوله « استبدلوا العامية بالفصحى » فكانه قال للذين يقدّمون  
اللغة على كل شيء : انكم تشتغلون بالقشر وتتركون اللب فدعوا القشر واذا كانت  
لغتك تحول دون تركه فانتركوها هي نفسها ايضاً واتخذوا اللغة العامية بدلاً منها طلباً للـ  
الذي هو العلم الحقيقي والفائدة الحقيقية

اما نحن فاننا نقول للمستر ويلمور اننا نعدّ هذا القول جنابة على اللغة العربية . لان  
هذه اللغة الجميلة الحلوة لا اسهل منها على من يحسن تسهيلها ولا اطوع منها لمن يحسن  
النصرف باساليبها . فالعجز اذاً انما هو في نفوس اهل اللغة لا في اساليب اللغة نفسها  
وهنا نصل الى النقطة الهامة في هذا البحث . فنسال المستر ويلمور الا يعدل عن  
اقتراحه اذا ثبت له ان اللغة الفصحى قد تقوم بوظيفة اللغة العامية من ابلاغ المعاني الى  
افهام العامة . وهذا امر ممكن . وايضاحاً لذلك نقول

تقتضي « المخاطبة » ثلاثة امور . الاول المعنى الذي في ذهن المتكلم . والثاني الكلام  
الذي يراد ابصاله الى فهم المخاطب . والثالث فهم المخاطب نفسه . فاذا كان معنى الكلام  
والكلام نفسه صريحين واضحين مسبوكين باسلوب على قدر فهم السامع وصل ذلك المعنى  
الى ذهن المخاطب بلا عناء ولا مشقة . فالعمدة في ذلك اذاً « المعنى » « والكلام »  
« والاسلوب »

وبناءً عليه اذا كان المتكلم مالكاً زمام المعنى ووضعه في الفاظ بسيطة حسنة مفهومة  
لدى العامة وسبكه باسلوب بسيط ايضاً تحتم وصول ذلك المعنى من ذهن المتكلم او الكاتب  
الى ذهن المخاطب لا محالة

مثال ذلك العبارة التالية

« ان المقصود بالسنن الموضوعة في السياسات كلها هو المدينة والكل لا الشخص »

فهل يعرف القارىء من اين اخذنا هذه العبارة ؟ لقد اخذناها من كلام الفيلسوف  
بن رشد في تعريبه كلاماً لا ريسطو . واصلاها هكذا « هذه السياسات كلها المقصود بالسنن  
الموضوعة فيها انما هو المدينة والكل لا الشخص » فانظر ايها اقرب الى افهام القراء في  
هذا الزمان

وليس المراد بذلك ان العبارة التي بسطناها اولاً هي ابلغ من العبارة الثانية التي خطها فلم ين رشد كبير فلاسفة العرب وامير البلغاء . ولكن المراد انها اقرب الى افهام القراء في هذا الزمان . وقد قال الجاحظ « كما لا ينبغي ان يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي ان يكون وحشياً الا ان يكون المتكلم به بدوياً اعرابياً فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي » ومن ذلك يثبت ان الفهم هو شرط الجواز في استعمال المعاني والالفاظ

ولكن قد يصيح هنا كثيرون من محبي اللغة ويقولون ان ذلك يقتل ملكة البلاغة والفصاحة لانه يضيق دائرة اللغة ويقضي على اساليبها الجميلة وتعابيرها الانيقة . اذا ماذا يحل بنا وبلغتنا اذا وجب علينا ان لا نخطب الناس الا بما يفهمونه ؟ فالجواب عن ذلك سهل جداً على المستر ويلمور وهو قادر على ان يحجهم من كلام أئمة البلاغة انفسهم . قال الامام نجر الدين الرازي « اعلم ان الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد . واصلها من قولهم افصح اللين اذا ذهب عنه الرغوة . وهي بالاصطلاح عبارة عن الالفاظ المبينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها »

وقال ابو هلال العسكري « سميت البلاغة بلاغة لانها تنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه » والبلاغة مأخوذة من قولهم « بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها غيري » وقال في الفصاحة « اما الفصاحة فقد قال قوم انها من قولهم افصح فلان عما في نفسه اذا اظهره . والشاهد على انها هي الاظهار قول العرب افصح الصبح اذا اضاء » وقال في موضع آخر « يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ وجيد السبك غير مستكره فح ولا متكلف وخم ولا يمنعه من احد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وثقويم الحروف »

وقال صاحب المثل السائر « ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين واعني بالظاهر البين ان تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة . وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مالوفة الاستعمال »

هذا ما يعتقد في الفصاحة والبلاغة أئمة اللغة وكتابها . واذا كان فهم السامع كلام المتكلم والقارئ كلام الكاتب هو الشرط في الفصاحة والبلاغة فقد جاز ان يقال ان البلاغة والفصاحة عند الامم تكونان بحسب اخلاقها وعاداتها وحاجاتها واساليبها . فما يكون بلاغة وفصاحة في البدو لا يكون بلاغة وفصاحة في الحضرة . وما يكون بليغاً لدى العرب

لا يكون بليغاً لدى الافرنج وبالعكس . فبناءً على ذلك يجب على المعلمين والكتاب ان لا ينقيدوا بالماضي نقيد الاعمي فان « الماضي » انما هو الطفولية كما قال باكون والانسانية نتقدم صاعدة شيئاً فشيئاً في مرآتي الزمن الازلية . وهي جسم حي كل ما فيه نام : جسمه ونفسه ولفته فاذا تقدمت النفس وارتقت وبقيت اللغة متاخرة جامدة صارت النفس خرساء لا تحسن التعبير عن حاجاتها

فيؤخذ من ذلك كله ان المستر ويلمور مصيب في طلبه « لغة جديدة » غير « لغة الطفولية » ولكن هذه اللغة الجديدة المطلوبة التي تقتضيها حالة العصر ويوجب سير التمدن قيامها ليست اللغة العامية لان هذه لغة سافطة ولكنها لغة بين اللغة الفصحى القديمة التي لا يفهمها العامة والخاصة ايضاً وبين العامية . وهذه اللغة الجديدة موجودة الآن وهي لغة المجالات والجرائد التي تحسن اختيار الفاظها واساليبها وتنتقي الخطاء فيها . فما طلب اذاً المستر ويلمور الا شيئاً موجوداً

نتج اذاً ان اللغة الجديدة التي ستكون اللغة العربية في المستقبل هي تلك اللغة البسيطة السهلة التي لا يكون فيها لفظ غير مألوف الاستعمال ولا تعبير من التعابير البدوية القديمة التي لا مسوخ لاستعمالها في زمن كهذا الزمان . هي تلك اللغة التي تغيب الفاظها وراء عرائس المعاني كأنها زجاج شفاف يظهر باطنه مع ظاهره او ينبع صافي الماء متعدي في قعره درر الحصى واحدة واحدة . هي تلك اللغة التي يقرأ ابناؤها مقامات الزمخشري والحريري واليازجي ورسائل الخوارزمي والهمذاني فياسفون على الوقت والقوى التي انفقوها في صف الالفاظ بعضها وراء بعض ويضحكون من تلك الكلمات الغريبة والاساليب العجيبة كما ضحك اعرابي من بيت لابي تمام تلي عليه فلم يفهمه وقال انه ليس بعربي . هي تلك اللغة التي اذا مات رجل عظيم من ابناؤها قال كاتبها في تأييده « مات رجل عظيم » لا « كسفت الشمس وخسف البدر ومادت الجبال وغارت البحار » . بل هي تلك اللغة التي كل كاتب وكل معلم من ابناؤها يكتب في دفتره الخصوصي مقال الجاحظ « ليست الفصاحة بالتفصح لانه لا يزيد متزيد في كلامه الا لنقص يجده في نفسه »

وربما اتينا في عدد قادم على امثلة من اللغة القديمة والحديثة مأخوذة من الكتابات القديمة والحديثة ليعلم القارىء منها ان في القديم شيئاً كثيراً حديثاً وفي الحديث شيئاً كثيراً قديماً